دور ميناء بجاية في النشاط التجاري الحرفي "الكراستة" خلال العهد العثماني

أة. مباركي ناوية
قسم التاريخ – جامعة الجزائر

تمهيد

من خلال هذه المداخلة سأحاول تسليط الأنوار على الدور التجاري لمدينة بجاية خلال العهد العثماني وكيف أن نشاطها التجاري حينها ارتبط ارتباطا وثيقا بمينائها، وخليجها عامة علما أن التركيز سيكون بالدرجة الأولى على النشاط التجاري والحرفي الذي كانت تشكل مدينة بجاية، وميناءها المركز الرئيسي له، وهو تجارة الكراستة.

1 - موقع مدينة بجاية

كانت مدينة بجاية في العهد العثماني مبينة على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية لجبل قورايا(Goriah) الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 660م وتطل على خليج يسمي باسمها يحميه عدد كبير من الكتل الصخرية العالية [1] حيث يمتد في قاعدة جبل

(1) إسماعيل العربي "بجاية من خلال النصوص الغربية" في مجلة الأصالة العدد 19 - عدد خاص بجاية، السنة الرابعة صفر - ربيع الأول 1334هـ مارس – أفريل 1994، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، ص68.

قوريا رأس يعرف برأس بواق(cap bouac)، وهو يتقدم في البحر كأنه شبه جزيرة تقريبا، ويحدد ميلاد خليج بجاية الطويل.[1]

وتتمتع مدينة بجاية بمناخ معتدل في الصيف لوقوعها في الجهة الشمالية الغربية من هذا الخليج، وفي فصل الشتاء تسقط الأمطار الغزيرة في منطقتها، وهذا ما يفسر غنى المنطقة التي تقع فيها مدينة بجاية بالغابات الزاخرة بأشجار الزيتون، والصفصاف، والسرو، وغيرها منذ أقدم العصور[2]. كما كانت بجاية واقعة بالقرب من وادي الصومام الذي كان يصب في البحر محاذيا لها من جهة الشرق.[3]

وتبعد مدينة بجاية عن مدينة الجزائر بـ 35 فرسخ (140كلم) – ففرسخ (lieue) واحد يساوي حوالي 4 كلم- وبـ15ساعة بالسفينة في الفصول الجميلة، وتبعد عن جيجل بحرا بـ 12 فرسخ(48 كلم)، وتبعد عن سطيف مسافة يومين من المشي أي 20 فرسخ(80 كلم)، وعن قسنطينة (سيرتا) تبعد بـ 30 فرسخ(120 كلم) وأخيرا تقع على

---

(1) EDOUARD LAPENE, Vingt-Six Mois à Bougie ou Collection de mémoires sur sa conquête, Chez ANSELIN et GAULTIER- LAGUIONIE, Librairies, Paris, 1838, p. 3

(2) رابح بونار، "بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين"، في مجلة الأصالة العدد 19، عدد خاص ببجاية، سنة الرابعة صفر- ربيع الأول 1334هـ/مارس- أفريل 1974، ص 66.

(3) SHAW(Thomas),Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description Géographique,Traduit de l'Anglais et augmenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830,p.334

بعد 50 فرسخ (250 كلم)من عنابة (هيبون)[1] وهكذا يمكننا القول، إن موقع بجاية هذا جعل منها عروس الساحل لكونها جمعت بين البحر، والجبل وتربعت على خليج يعتبر من أهم الخلجان على شواطئ المغرب الأوسط-الجزائر- وهو عبارة عن ميناء طبيعي محمي، وحصين، ولهذا كانت منذ أقدم الحقب التاريخية مطمع كل من يراها، وهذا ما أهلها لتكون عاصمة الأمراء الحماديين، وقبلة العلماء، وما يميزها عن غيرها من المدن حينها أنها كانت مدينة تعايشت مع الطبيعة ؛ حيث أنه داخل أسوارها كانت هناك مساحات خضراء، وأشجار تتوزع عليها الدور، والمساكن.

2- وضعية مدينة بجاية في العهد العثماني

في البداية أشير إلى أن الكتابات التاريخية التي تتناول تاريخ مدينة بجاية في ظل الحكم العثماني تركز على ظروف انضوائها تحت الحكم العثماني في عهد صالح رايس سنة 1555م دون التعرض للأحداث والأوضاع التي عايشتها بعد ذلك.

فالمعلومات التاريخية القليلة المتوفرة لدينا عنها خلال العهد العثماني تشير إلى أنها لم تعد تلك المدينة المزدهرة كما كانت في عهد بني حماد، والموحديين، والحفصيين ؛ أي لم تعد تتمتع خلاله بمكانتها التاريخية القديمة أو بمكانة جديدة يمليها خضوعها

---

(1) EDOUARD LAPENE, Op.Cit, P.2

للعثمانيين[1] ؛ والسبب في ذلك يعود إلى التخريب، والتدمير التي تعرضت له خلال الاحتلال الإسباني إذ تم تخريب عدة أحياء جميلة من أحياءها.

ونهب الإسبان ما في المدينة من أشياء ثمينة، وقيمة، ودمروا قصورها البديعة ؛ وقاموا بتحميل 30 سفينة من سفنهم بكل ما أخذوه من بجاية سواء من مقتنيات قصور السلطان، أو من مقتنيات مساجدها، وقد حطموا منارة قصر اللؤلؤة، ودمروا قصر النجمة، ونهبوا كل ما فيها من أعمدة رخامية، وفاينس –زليج-وخشب منقوش في غاية الإتقان.[2]

وعرفت مدينة بجاية في عهدهم انحطاطا كبيرا، وتبعا لما تذكره المصادر نلاحظ أنها خلال العهد العثماني لم تسترجع مكانتها، وأن روعتها الحضارية، والعمرانية كانت تندثر، وتختفي في نفس الوقت الذي كانت تشهد فيه مدينة الجزائر توسعا عمرانيا، وسكانيا وتتحول من قرية صغيرة إلى مدينة مزدهرة نتيجة اختيارها عاصمة للبلاد والدولة.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري (16-20م)، ج1، الطبعة الثانية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405-1985م، ص174.

(2) Charles FERAUD, Histoire des villes de la province de Constantine « Bougie », typographie et lithographie L.ARNOLET, Constantine, 1869, P192.p.166

وتذكر بعض المصادر أن العثمانيين لم يهتموا بتعمير المدينة، وترميمها، ومن أمثالهم الرحالة الفرنسي بيسونال (PEYSONNEL) الذي قال في أكتوبر 1725م عن تدهور، وانحطاط العمران في بجاية : "كل شيء يسقط كالأطلال ؛ إذ أن الأتراك لا يصلحون شيئا" [1] ؛ أي أن معظم عمران بجاية تحول إلى خراب[2].

وهذا ما ذهب إليه من قبل الفارس داريفيوا(Chevalier d'Arvieux)خلال القرن 17م (11هـ) حين ذكر أن المدينة تقريبا خراب بأكملها..... في كلمة واحدة هذه المدينة التي كانت سابقا معتبرة لم تعد إلا قرية بائسة.[3]

---

(1) وفي هذا الحكم مبالغة ؛ فقد حاول العثمانيين الاهتمام بترميم عمران المدينة وهذا ما نتلمسه من خلال الآثار التي تعود لهذه الفترة ؛ حيث قاموا مثلا بترميم وتدعيم برج موسى، والقصبة، وحصن ڤورايا، كما قاموا بإنشاء برج هو برج بوليلة، كما أنهم قاموا بتشييد بعض المؤسسات الدينية كالجامع الأعظم، وجامع سيدي بوصوف، وهذا ما تدعمه إحدى الوثائق التي تعود إلى العهد العثماني نستشف منها قيام العثمانيين بإصلاح أحد الأبراج إذ مما جاء فيها إعلام قايد بجاية مصطفى رئيس بأن عملية ترميم البرج قائمة إذ جاء فيها ما نصه : «**اليوم أفاندي نعلمكم على شأن أمر البنيان رانا {كذا}رفعنا الجير إلى البرج وخذينا الخشوب{كذا}.....**».**أنظر** : وزارة الإعلام والثقافة، بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ديسمبر1975، والوثيقة رقم 8، في المجموعة 1903، من الرصيد العثماني-حول هذه الوثيقة ارجع للهامش رقم (39)

(2) PEYSONNEL et DESFONTAINES, Voyages dans la Région de Tunis et Alger, Librairie De Guide Editeur des Annales des Voyages, Paris, 1838,p. 468.

(3) Chevalier d'Arvieux, Mémoires du chevalier d'Arvieux, Tome5, Chez J-B Delepine, paris,1735 p.236

وما سبق يبين مدى الانحطاط الحضاري الذي كانت تعاني منه بجاية، ولكن غناها بالمواد الطبيعية المتنوعة وموقعها البحري الإستراتيجي سيبقي على نبض الحياة فيها للنشاط التجاري الذي ارتبط به.

3- نظرة على ميناء بجاية

يقع ميناء بجاية في الجهة الغربية من الخليج الذي يحمل نفس اسم المدينة "خليج بجاية"[1] وكان يتشكل من انسحاب واسع للشاطئ إلى الداخل حوالي 3.500 متر عمق، وقد كان يحدد ميلاد- بداية- هذا الميناء رأس بواق (cap bouac) [2].

---

(1) خليج بجاية محصور بين رأس كربون(cap carbon)، ورأس كفالو(cap cavallo) باتجاه جيجل كان يقدم شكل منتظم لنصف دائرة (نوعا ما كشكل هلال)وهو يوجه الشمال، ولديه 23 ميل (42,596كلم) انفراج، أو انفتاح على 8 أميال عمق (14,816كلم)، وكان يحوى عدة نقاط صالحة لرسوا السفن، وهذا بفضل عمقه المناسب، وطبيعة قاعه ؛ حيث يتميز في كل مكان بقاع من الوحل(vaseux)على رصيف من الطين ؛ فهذا الخليج جد ملائم لتحرك أسطول بحري، ورسوه علما أنه خلال فصل الصيف كان يمكن الرسوا بكل طمأنينة في كل مكان من الخليج أما في فصل الشتاء فينبغي الاقتراب قدر الإمكان من الأرض-أو اليابسة -.فخليج بجاية المحصور بين رأسيين في مأمن من التيارات القادمة من الخارج. أنظر :

EDOUARD LAPENE, op.cit, p. 83 et voir aussi A.LIEUSSOU,Etude sur les ports de l'Algérie, 2eme Edition –publiée par les départements de la guerre et la marine ,imprimerie Administrative de Paul Dupont , paris ,1857,p.p.123,126

(2) A.LIEUSSOU, op.cit, p.123

وقد كان محميا في الشمال من خلال الأراضي المرتفعة التي تربط رأس كربون (cap carbon) مع جبل ڤورايا ومن الشرق، والجنوب بالشاطئ، وهو محمي من جهة الغرب عن طريق أراضي رأس كفالو (cap cavallo). [1]

وقد كان هذا الميناء بحسب ما ذكره الفارس دارافيوا في القرن 17 م(11هـ) كبيرا، وأمنا، وذا عمق ممتاز لرسوا السفن حيث تكون السفن التي تنسحب إليه في أمان تام، وكامل.[2]

وكان هذا الميناء محميا جيدا على وجه العموم من الرياح العاصفة باستثناء الرياح الشمالية الغربية، والتي لم تكن أبدا لا سريعة، ولا عالية بالقدر الذي يمكن لها به الإضرار بسفينة راسية على أسس صحيحة.[3]

فخلال فصل الصيف يمكن رمي المرساة ؛ أي الرسوا في كل مكان باطمئنان، وبثقة منذ أن نجد أنفسنا داخل رأس بواق (cap bouac) الذي يغلقه من الشمال[4] فضلا عن العمق الملائم، وطبيعة قاع الميناء ؛ حيث كان يتميز في كل مكان بقاع موحل

---

(1) Ibid., p p.123, 124

(2) hevalier d'Arvieux, op.cit, p. 240

(3) A.LIEUSSOU, op.cit, p.124

(4) ibid.,p.124

(vaseux) على رصيف من الطين، ومن تم هو قاع جد ملائم لتماسك المرساة[1] فهي ترسخ بقوة في القاع لدرجة صعوبة سحبها.[2]

والإرساء عادة سهل في بجاية أولا لأن الميناء قليل التعمق في الخليج، وثانيا لأن المناورات (louvoyage) في هذا الخليج الواسع أين تدخل التيارات الصغيرة لعرض البحر، وأين يمكن أن نطيل الإبحار بخط مستقيم إلى غاية 400 متر من الأرض ملائمة تقريبا كما هو الحال في عرض البحر.[3]

إذا يقدم ميناء بجاية مرسى طبيعي شتوي ملائم قادر على استقبال أسطول كامل يسهل دخوله إليه، ومغادرته له في كل الأوقات.هذا الميناء في الجهة الشمالية الغربية يشبه للأمان الذي يوفره ميناء مغلق، وهو محطة هامة لا غنى عنها للسفن المبحرة من مدينة الجزائر باتجاه مدينة عنابة، وبخاصة خلال فصل الشتاء.[4]- بخاصة مرسى سيدي يحي كما سيأتي ذكره -.

وقد كان ميناء مدينة بجاية يتوفر على ثلاثة أماكن طبيعية صالحة لرسوا السفن (Mouillage) وهي :

1 – مرسى سيدي يحي نسبة لضريح سيدي يحي بوزكريا الذي كان يشرف على خليج، وميناء بجاية وقد كان هذا الضريح

---

(1) EDOUARD LAPENE, op.cit, p. 90

(2) A.LIEUSSOU, op.cit, p.124 Et voir aussi EDOUARD LAPENE, op.cit, p.84

(3) ibid., p.126

(4) ibid., p. 126 Et voir aussi EDOUARD LAPENE op.cit, p.84

مقصدا لكثير من الناس وخاصة البحارة.وكان يقع بين رأس بواق (cap bouac) وحصن عبد القادر[1] وهو مرسى جد أمن في كل فصول السنة ؛ إذ يمكن الرسوا فيه في ظل كل الظروف الجوية. وهو الوحيد الذي يقدم ملجئا أمنا للسفن في حالة سوء الأحوال الجوية ؛ فالبحر فيه هادئ، وقاعه ملائم، وتماسكه جيد.[2]

والدليل على ملائمة الرسوا في مرسى سيدي يحي أنه كان خلال العهد العثماني محل الإقامة الشتوية لقطع أسطول البحرية الجزائرية ؛ إذ أنه عندما كان يحل فصل الشتاء، ويصبح ميناء مدينة الجزائر غير آمن على السفن كانت هذه الأخيرة تلجأ إلى ميناء مدينة بجاية للاحتماء من العواصف المحتملة، وبالتحديد إلى مرسى سيدي يحي المحمي طبيعيا، وكانت الأسلحة من مدافع، وغيرها تنزل حتى يمكن إرساء السفن بشكل أقرب من الأرض.[3] وقد كان هذا المرسى واسعا بما فيه الكفاية ليستقبل أسطولا من السفن –حوالي 20 سفينة –[4]

---

(1) **حصن البحر – أو حصن سيدي عبد القادر :** وهو الحصن الوحيد الذي كان موجود عند وصول الإسبان وبقي قائما، وهو مبني على شكل طبقات من الأجر، والحجارة المصقولة بالتناوب، وقد أعاد الإسبان بنائه، ولكن بالحفاظ على أساساته الحمادية وقد استعمل في بنائه بعض المواد، والحجارة المأخوذة من بعض البقايا، أو الخرائب الرومانية الموزعة في تلك النواحي هذا الحصن كان يحوي خزان، وأقبية مبنية، أو مرممة من طرف الإسبان، وفي هذا الحصن يوجد ضريح سيدي عبد القادر. **أنظر :** وزارة الإعلام والثقافة، بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ديسمبر1975، ص 85

(2) EDOUARD LAPENE, op.cit, p.90

(3) Charles FERAUD, op.cit, p192. Et voir aussi EDOUARD LAPENE, op.cit, p.84 et A.LIEUSSOU, op.cit, p124

(4) . LIEUSSOU, op.cit, p.125

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المرسى أثار اهتمام الفرنسيين بعد احتلالهم لمدينة بجاية ؛ حيث اعتبروه أحد أفضل المراسي في ساحل شمال إفريقيا، وجعلوه يأتي من حيث الأهمية، والقيمة بعد ميناء الإسكندرية، وهذا بحسب بعض ضباط البحرية الفرنسيين كما صنفه بعض بحارتهم في الصف الأول من حيث ملاءمته، وصلاحه لرسوا السفن قبل ميناء سطورة، وأرزيو، والمرسى الكبير.[1]

2 – مرسى المدينة ؛ وهو الميناء التجاري الفعلي للمدينة ويقع أمام المدينة ويمتد مابين حصن عبد القادر والقصبة، وهذا المرسى ملائم خاصة خلال الفصول الجميلة –فصل الربيع، والصيف -.

3- أما المرسى الثالث فنجده إلى الغرب عند قدم القصبة في أصل السهل هذا المرسى الصغير ملائم لإقامة ورشات بناء السفن، وقد كان تحت حكم الدايات مقرا لدار الصناعة –شاطئ دار الصناعة ؛ حيث يبدو أنه كان يتم صنع مراكب صغيرة" فلوكات، أو بركوات "ممارسة التجارة الساحلية التي سيأتي ذكرها لاحقا – حيث يمكن للسفن أن تنزل للبحر، وأن تصلح به في كل الفصول.[2]

4- نظرة عامة على النشاط التجاري في مدينة بجاية

لقد كان سكان مدينة بجاية يمارسون عدّة أنشطة تجارية، وأهم ما كانوا يتاجرون به المحارث، والفؤوس والمناجل، وغير ذلك

---

(1) EDOUARD LAPENE, op.cit, p p.84,90

(2) Ibid., p.85

من الأدوات الخاصة بالفلاحة، والتي يصنعونها بأنفسهم[1]، كما أنهم كانوا يقومون بشراء كميات كبيرة من زيت الزيتون، والشمع من القبائل التي تسكن القرى المتواجدة بالجبال المحيطة بمدينة بجاية، وقد كان يصدر منها إلى أوروبا، والشرق.[2]

وكان يصدر من مدينة بجاية باتجاه مدينة الجزائر بالإضافة إلى زيت الزيتون كل من الشمع، والعسل وهي مواد كان يؤتى بها من الجبال المجاورة لها، وباتجاه عنابة، وقسنطينة كانت تصدر التين والبرتقال والليمون[3] وإلى جيجل، وقسنطينة، ومدينة الجزائر

---

(1) وذلك باستعمال الحديد القادم من المناجم المجاورة للمدينة، والمتواجدة في الجبال المحيطة بها ؛ فقد كانت هذه الأخيرة ومنذ أقدم العهود غنية بالمعادن، وخاصة الحديد ؛ فقد ذكر ليون الإفريقي –حسن الوزان-أنه في المنطقة التي تقع بها مدينة بجاية كانت توجد في الجبال المحيطة بها مناجم حديد كان يستخرج سكان بجاية منها الحديد، ويصكون منه عملات نقدية على شكل قطع صغيرة من الحديد وزنها حوالي 70غ، وهي نفس المعلومة التي ذكرها مرمول في أواخر القرن 16م (10هـ).أنظر :

Jean-Léon l'Africain, Description de l'Afrique , traduit de l'Italien par A.Epulard, Adrien Maisonneuve, éditeur, Paris VI, 1956, pp.406,407et voir Marmol (louis), l'Afrique de Marmol, tome2, traduction de Nicolas PERROT sieur d'Ablancourt, Paris, 1667, P416

(2) SHAW (Thomas), op.cit,p.333

(3) وتحفل المصادر بذكر الثورة الفلاحية، والحيوانية التي كانت متوفرة بالمناطق المحيطة بمدينة بجاية ؛ فمثلا ذكر ليون الإفريقي –حسن الوزان- في مطلع القرن السادس عشر أنه كان في بجاية على عهده أكثر من 8.000 عائلة جد غنية عن طريق المتاجرة بمحاصيل زراعتهم وذكر أن الأراضي الزراعية قليلة جد لإنتاج الحبوب، ولكنها من جانب آخر غنية بالفواكه ؛ حيث يوجد حول المدينة عدد لا متناهي من البساتين المليئة بالأشجار المثمرة، وقد ذكر أن تلك البساتين كثيرة خاصة من جهة الباب المؤدية إلى الشرق. كما ذكر أن الجبال المحيطة بمدينة بجاية كانت مكانا يحوي ثروة حيوانية معتبرة من المعز، والأبقار، والثيران والأحصنة، وكانت تحوي كمية كبيرة من الجوز، والتين. المصدر :

Jean-Léon, l'Africain, op.cit, pp. 365, 406 وهو نفس ما ذهب إليه مرمول إذ تحدث عن البساتين التي كانت تحيط بالمدينة ؛ حيث قال أن بجاية محاطة بالبساتين، ولاسيما باتجاه الشرق.المصدر : Marmol, (louis), op.cit, p.415

كانت تصدر الخروب ؛ حيث كان مقياس من الخروب يقايض بصاعين من القمح. كما كانت تصدر بعض جلود النمور، والقردة إلى مدينة الجزائر، وفي الداخل إلى بعض القبائل.[1] وهنا لابد أن نذكر بأن مصدر هذه الجلود كان الغابات الكثيفة المحيطة بمدينة بجاية ؛ فقد ذكر ليون الإفريقي –حسن الوزان- (Jean-Léon l'Africain)في هذا الصدد أن المنطقة حيث تقع مدينة بجاية مليئة بالجبال الصعبة المسالك المغطاة بالغابات ؛ حيث يكثر القردة، والفهود.[2]

كما ذكر مرمول (Marmol)حول هذه المسألة أنه على مسافة قليلة من مدينة بجاية، وبساتينها كانت تحيط بها غابات سميكة أين كان يوجد عدد معتبر من الأسود، والقردة[3]. وقد كانت مدينة بجاية إلى جانب تصديرها للمواد، والبضائع المذكورة أنفا تستورد بعض السلع التي كانت في حاجة إليها كالملح، والجرار لوضع وتخزين الزيت، والماء[4]، وكذا الحبوب لاسيما القمح [5] ؛ حيث

---

(1) Edouard LAPENE, op.cit, p.93

(2) Jean-Léon l'Africain, op.cit, p.365

(3) Marmol, (louis), op.cit, p.416

(4) Edouard LAPENE, op.cit, p.93

(5) حيث ذكر بيار دافتي في القرن 17 م ما يلي ". ..الأراضي المحيطة ببجاية فقيرة، وغير صالحة لزراعة الحبوب، ولكنها من أحسن الأراضي للفاكهة، والتي هي لذيذة بامتياز نرى العديد من الحدائق حول المدينة التي تحوى العديد من الأشجار المثمرة، وعدد عجيب من أشجار الجوز، والتين ؛ حيث يعد التين بها من أفضل الأنواع " المصدر :

Avity (Pierre.D'),Description Générale De L'Afrique Seconde partie Du Monde avec tous ses Empires, Royaumes,Etats,Et Républiques , Chez Claude Sonnius,Paris 1637 , p.191

تشير الوثائق التي تعود إلى الرصيد العثماني إلى حادثة تحطم سفينة محملة بالقمح كانت في طريقها من جيجل إلى بجاية. [1]

ويتحدث توماس شو(Thomas SHAW) في القرن 18م عن المبادلات التجارية التي كانت تتم بين سكان مدينة بجاية، والقبائل المجاورة لها كقبائل قوارايا، وتوجة إذ يذكر أنه في اليوم الذي تقام فيه السوق –الذي كان عادة يوم الخميس كانت هذه القبائل، وغيرها تحضر إلى السوق، وهي تحمل معها سلعها، وبضائعها كالعسل والشمع...الخ- وإن الأمور كانت تجري بهدوء طالما المبادلات التجارية مستمرة، والسوق قائمة، ولكن بمجرد انتهاء البيع، والشراء يصبح كل شيء رأسا على عقب، ونادرا ما ينقضي النهار دون وقوع اضطرابات وفوضى، ودون حدوث بعض السرقات[2]. وما يهمنا مما سبق هو إبراز وجود نشاط تجاري بين سكان مدينة بجاية، والقبائل العديدة المجاورة لهذه الأخيرة.

وهذه المسألة قد أشار إليها خلال القرن 17م (11هـ) الفارس دارفيوا ؛ حيث يذكر أنه في أيام السوق كانت هناك هدنة بين سكان قبائل المناطق المحيطة بمدينة بجاية، وسكان هذه الأخيرة ؛ إذ كانوا يجتمعون في السهل على بعد ربع ميل من المدينة فيما يعرف

---

(1) وثيقة رقم 47 "**رسالة من كاهية الديوان بجيجل إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة**» ، دون تاريخ، من المجموعة 1903، من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

(2) Tomas SHAW, op.cit, p.333

بسوق الخميس ؛ حيث كانت توجد ساحة كبيرة يجتمع فيها الأتراك والمور-ويقصد بهم المسلمين من غير العثمانيين - تحت ظل نخلة، وكانوا يتاجرون فيما بينهم بسكينة منذ طلوع النهار إلى غاية منتصفه، ولكن بمجرد وصولهم لمنتصف النهار كان الجميع يفترق مباشرة ؛ فهذه السوق كانت تدوم لغاية منتصف النهار، ويعلن عن ذلك عن طريق طلقة برود.[1]

ولا بد أن نذكر أن ما يهمنا هنا في مجال التبادلات التجارية لمدينة بجاية مع بقية المدن، والمناطق أن هذه الأخيرة كانت تمتلك 20 شبكة، أو فلوكة -مركب صغير-[2] كانت تستعمل خلال الفصول الجميلة في تصدير ونقل جزء من منتجات المنطقة المذكورة سابقا إلى تونس، وهران، ومدينة الجزائر، وعنابة، وكل هذه المراكب الساحلية كانت توجه في فصل الشتاء، وترمي على شاطئ دار الصناعة تحت القصبة، ولا تعاد إلى البحر إلا خلال الأيام الأولى من الربيع.[3]

---

(1) Chevalier d'Arvieux, op.cit, p.237

(2) ونجد من خلال الوثائق التي تعود إلى الرصيد العثماني إشارة إلى هذه المراكب تحت اسم "**البركوات**" ؛ حيث جاء في إحدى الوثائق ما يلي : ". .....إذا نرسل إليكم الزيت مع البركوات{كذا} تعلمني وإذا كان ترسلوا المركب من عندكم تعلمنا باش انسرح{كذا} البركوات...." . المصدر : الوثيقة رقم 8 "**رسالة من أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج حول مسألة شراء الزيت المطلوب منه وطلب إعلامه هل يتم إرسال مركب من مدينة الجزائر لتسلمه وفيها إشارة أيضا للأخشاب** "، تاريخها أوائل شوال (دون تاريخ)، في المجموعة 1903من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

(3) Charles Féraud, op.cit, p.195

أما المراكب التي لم تكن تستطيع، أو تتمكن من الرسوا في الميناء نفسه كن تذهبن للرسوا في كل النقاط الصالحة للإرساء في الساحل ؛ فتمارسن بذلك تجارة السواحل (cabotage) ؛ حيث كن تستكملن في أكثر الأحيان عن طريق التبادل، والمقايضة حمولة مشكلة من الزيت، والشمع، والتين المجفف، والجلود...الخ، والتي كن يصدرنها بعيدا، وكن يعدن محملات بالحبوب، والأواني الفخارية والأقمشة التي كانت توزع من بجاية إلى مختلف بلاد القبائل، ولكن يجب الإشارة إلى أنه كان يمنع على هذه السفن الصغيرة أن تحمل السلاح، وأن تقوم بأي عمل يتصل بالقرصنة –فقد كانت هذه الأعمال محصورة على سفن أسطول الجزائر –مدينة الجزائر-.[1] كما كانت تقوم هذه المراكب بنقل الأخشاب الصالحة لبناء السفن، والتي كانت تحتاج إليها البحرية الجزائرية كما سيأتي ذكره بمناسبة الحديث عن تجارة الكراستة أساس موضوع هذه المداخلة.

5- تجارة الكراستة

ولكن يبقى أهم نشاط اقتصادي تجاري، وحرفي كانت مدينة بجاية مركزا له، وعلى وجه الخصوص خليجها، وموانئها اللذان كانا حجرتان أساسيتان فيه هو تجارة الأخشاب الصالحة لبناء السفن، والتي كانت تحتاج إليها بحرية الجزائر، ومن هنا

---

(1) Ibid, p. P195

يمكن القول أن هذه المسألة هي التي كانت تجعل من مدينة بجاية ذات أهمية بالنسبة للعثمانيين، وقد ذكر هذه الأهمية بيتي دولاكروا (PETIS DE LACROIX) حين قال حول هذه المسألة : «...على بعد 12 ميل من جيجل توجد مدينة بجاية المكان الذي يحبذونه- وهو يعني بذلك العثمانيين- أكثر بسبب الخشب الذي يقومون بقطعه، والصالح بشكل كبير لصنع السفن، والغيلوطات(galères)-نوع من السفن -»[1]

حيث كانت الغابات المحيطة ببجاية مصدرا هاما للأخشاب الضرورية لصنع، أو بناء، وإصلاح سفن أسطول الجزائر المختلفة[2] ؛ فجبال خليج بجاية متوجة بغابات كثيفة توفر نوعية جيدة من الأخشاب، ولاسيما تلك الغابات الواقعة على القسم الجنوبي للخليج- من أكفادو إلى غاية بني فوغال-.

فقد كانت سفن أسطول بحرية الجزائر كبقية السفن عرضة للتلف، أو التدمير بسبب العواصف، وأحيانا أخرى بسبب المعارك التي كانت تخوضها في إطار الجهاد البحري ؛ فقد كانت

---

(1) نقلا عن مولاي بلحميسي، "بجاية في حدائق الكتب" في مجلة الأصالة العدد 19 - عدد خاص بجاية-، السنة الرابعة صفر - ربيع الأول 1334هـ مارس – أفريل 1994، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، ص128.

(2) تجدر الإشارة إلى أنه في البداية كان يتم من أجل صناعة السفن في الجزائر استعمال أخشاب جيدة من البلوط، والصنوبر من منطقة شرشال وعندما أستنزف هذا المصدر أواسط القرن 17 م تم الإلتفاتة إلى غابات بجاية.المرجع :
Moulay Belhamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1830) ,2 Edition, ENAL,Alger 1986 ,p.49

هذه السفن تقوم بحمالات تستمر فصول كاملة[1] ؛ فكان يتوجب لذلك عودتها للميناء لتتلقى الإصلاحات، والترميمات الضرورية، ولكن من أين كان يأتي الخشب الضروري لمثل هذه الإصلاحات ؟ كان يأتي في معظمه من الغابات المحيطة بمدينة بجاية-كما سلف ذكره-، وهذا ما ذكره توماس شو (Thomas SHAW) حيث قال : ".....عندما يقوم الجزائريين ببناء سفينة يكفيهم أن يكون لديهم ما يكفي من الخشب الجديد.....وهذا ما كانوا يحصلون عليه من بجاية. [2]

وقد كان يطلق على عملية استغلال الأخشاب الخاصة ببناء الخاصة بالبحرية **بالكرستة (Karasta)**، وهي كلمة تركية تعني الألواح، الأعمدة الخشبية، وعناصر أخرى للبناء، والنجارة الخاصة بالسفن، وبالتوسع كانت تستعمل هذه الكلمة لوصف، وتحديد كل البلاد المغطاة بالغابات، والتي كانت توجد في خليج بجاية.[3] فقد كان ينشط في مدينة بجاية جهاز مختص يعرف بالكراستة –يشرف على عملية استغلال الأخشاب المتوفرة بمنطقتها - كمركز للفرز، والشحن، وقد كان يتم إشراك جيجل، والقالة في هذه العملية.[4]

وكانت تسكن هذه الغابات قبائل بربرية تتمتع بروح استقلالية بسبب مقاومتها المستمرة ضد كل سيادة أجنبية، وقد

---

(1) Charles Féraud, Exploitation des Forets de la karasta dans la Kabilie orientale sous la domination turque, In Revue Africaine 1868, N°12 p.379

(2) Tomas SHAW, op.cit,p.195

(3) Charles Féraud, op.cit, p.205

(4) Moulay Belhamissi, op.cit, p.49

وجد العثمانيين صعوبة في التعامل معهم، وإخضاعهم، ومن تم طرح أمامهم مشكل كيفية استغلال أخشاب تلك الغابات، وإقامة علاقات تجارية مع تلك القبائل، والاستفادة من أخشاب تلك الغابات، وغيرها من الثروات الطبيعية التي تزخر بها.[1]

وقد تحقق ذلك بفضل اعتماد العثمانيين على مساعدة بعض المرابطين ذوي تأثير في هذه المنطقة –نفسها- ونشير هنا إلى قضية هامة ألا وهي أن اعتماد العثمانيين على المرابطين في حكم البلاد كانت ميزة ميزت سياستهم في الحكم إلى غاية 1830 ؛ فقد كان لهؤلاء المرابطين تأثير على المجتمع ولهذا عملت السلطة الممثلة في العثمانيين على تقريبهم منها ؛ حيث وجدت فيهم سندا، ودعما لحكم البلاد.

فقد كان هؤلاء المرابطين يسهلون عليهم عملية استغلال ثروات تلك الغابات من الأخشاب مقابل بعض الامتيازات، وأبرز شخصية أدت دورا هاما في هذا الصدد المرابط **سيدي محمد أمقران**- وضريحه متواجد بالقرب من مدينة بجاية - الذي كان يمارس تأثيرا كبيرا على القبائل القاطنة في الكتلة الجبلية المتواجدة بين بجاية وجيجل، والغنية بالغابات، وقد توارثت عائلة أمقران هذه المهمة ؛ فقد سار ابنه سيدي عبد القادر من بعده على خطاه، وقدم عدة خدمات مفيدة للعثمانيين في المنطقة[2]، وقد سار أبنائه من بعده على خطاه، وخطى جدهم.

---

(1) Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1868, N°12 p.379

(2) Charles Féraud, op.cit, P201

وقد تحدث عنه الفارس دارفيوا ؛ حيث ذكر أنه كان يؤدي دورا هاما في محاولة تحسين العلاقة بين العثمانيين، والقبائل المجاورة لمدينة بجاية ؛ حيث ذكر أنه يوجد في مدينة بجاية مرابط يدعى الشيخ عبد القادر الذي كان ينظر إليه الترك، والمور-أي المسلمين من غير العثمانيين - كقديس....و قد كان يخطب في الناس في كل أيام السوق، ويعمل على أن يوحي لهم، ويشعرهم بضرورة العيش بسلام. [1]

وقد كان العثمانيون يقدمون لهؤلاء المرابطين مقابل مساعدتهم لهم بعض الإمتيازات، ومن بينها تخصيص أوقاف لزواياهم، ومنحهم حق التمتع بمساحات واسعة من الأراضي [2] منحهم السيادة على الأراضي الممتدة مابين سطيف، ووادي زناتي[3] وغير ذلك. كما أن العثمانيين إلى جانب اعتمادهم على النفوذ الروحي والديني لعائلة المرابط **أمقران** اعتمدوا على أسلوب آخر لتسهيل عملية اتصالهم، وتعاملهم مع القبائل المجاورة لمدينة بجاية مثل قبائل بني ميمون، وبني عمور، وغيرها، ولاستغلال الغابات التي هي محل إقامتهم ؛ فقد كان استغلال الكراستة من الأهمية

---

(1) Chevalier d'Arvieux, op.cit, p p.237, 238

(2) وتوجد وثائق تثبت تلك الإمتيازات التي منحت للمرابط سيدي محمد أمقران ولابنه عبد القادر من بعده هذه الإمتيازات التي جددت لأبناء هذا الأخير، وأحفاده وفيها إشارة إلى مسألة استغلال الكراستة، ولاسيما وثيقة مؤرخة في 1707ارجع إلى الملحق ص17

(3) Moulay Belhamissi, op.cit, p. 50

بمكان بالنسبة للبحرية الجزائرية- ونتلمس تلك الأهمية من خلال مقولة الفارس دارفيو في القرن 17 م حين قال "....إذا جعلنا أنفسنا أسيادا لبجاية ؛ فالأتراك لن يعرفوا من أين يأخذون الخشب لسفنهم، وهذا المشروع لن يكون صعبا كما يمكن أن نتصوره..... ."-[1]

مما جعل العثمانيين يمنحون امتيازات للمشرفين، والمكلفين بهذه المهام ؛ فمثلا القبائل الغابية منحت من طرف الباشاوات، والديات حق التمتع بمساحات واسعة من الأراضي في المناطق السهلية نظرا لأن أراضيهم الواقعة في المناطق الجبلية الصالحة للزراعة قليلة[2]، ومن الأمثلة عن ذلك نذكر قبائل بني فوغال الذين تحصلوا على حق التمتع بمساحات واسعة من الأراضي في بايلك، أو مقاطعة قسنطينة.[3] وما يهمنا هنا هو الحديث عن طريقة استغلال الغابات المحيطة ببجاية، والتنظيم الذي كان متبعا في هذه المسألة ؛ أي ما هي آليات التعامل بين العثمانيين بمدينة بجاية، والقبائل القاطنة في تلك الغابات.

لقد وضع تنظيم خاص لتوجيه هذا النشاط ؛ حيث كان يعيين في كل قبيلة من القبائل القاطنة بالغابات المجاورة لمدينة بجاية -والمتمثلة في قبائل بني ميمون، وقبائل بني عمور، وهي القبائل الأكثر قربا من بجاية إضافة إلى قبيلة بني فوغال- مسؤولين يحملون

---

(1) Chevalier d'Arvieux, op.cit, p.241

(2) Charles Féraud, op.cit, p.210

(3) Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1869, N°13 p.44

لقب شيخ الكرستة والذين كانوا تحت الإشراف المباشر للمرابط الذي كان من عائلة أمقران-وقد كانت هذه المهام تقريبا وراثية حتى 1830م في عائلة فرحات بالنسبة لقبيلة بني ميمون وعائلة حبيلس بني عواز في قبيلة بني فوغال.[1]

و قد كانت مدينة بجاية مقر إقامة لمن عرف **بوزير، أو قايد، أو ناظر الكراستة**، والذي كان شخصية عثمانية، وكانت وظيفته شبيهة بمهام المهندسين المسؤولين عن عمليات بناء الأساطيل البحرية، وتشير إحدى الوثائق التي تعود إلى الرصيد العثماني إلى هذه الشخصية ؛ حيث جاء فيها أمر تعين السيد مصطفي- ولد المرحوم احمد قايد- قائد على محروسة بجاية، وكذلك تسليمه قيادة الكراستة كما ورد بنص الوثيقة : "**.....كما أنعمنا عليه أيضا بقيادة الكراستة فهو المتولي قطعها، وأمرها على يديه، وكذلك أنعمنا عليه بقيادة الزيت وهي على نظره وكذلك أمر المرسى فهو القبطان وهو المتصرف فيها.....**".[2]

ومما سبق نستخلص أمرا هاما، وهو أن قائد الكرستة كان يهتم أيضا بشؤون المرسى، وما يتصل به نظرا لأهمية هذا الأخير، وارتباطه الوثيق بالنشاط التجاري لمدينة بجاية وبخاصة تجارة الأخشاب.

---

(1) Ibid, p.40

(2) الوثيقة رقم 39 "**رسالة من محمد باشا إلى أهل بجاية يعلمهم فيها بأمر تعين مصطفي بن أحمد قايد مدينة بجاية وناظرا للكراستة وللزيت وقبطانا للمرسى**"، تاريخها جمادى الأولى 1200 هـ، في المجموعة 3206، من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

و قد كان يساعده في أداء مهامه هذه مساعد يعرف بالخوجة باش كاتب الذي كان مكلفا بتسجيل شحنات الخشب المسلمة من طرف القبائل، والدفع لهم فيما بعد.[1]

وقد كانت عملية استغلال الأخشاب تتم تحت إشراف المهندس –وزير أو قايد الكراستة- فقد كان يقوم شخصيا بتقديم بعض الأجزاء الضرورية لصناعة السفن لتستعمل كنموذج –لصناعة عدد معين على شكلتها- وقد كان يتفق مع شيخ الكرستة للمنطقة لتزويده بالعدد الذي يحتاج إليه من القطع المطابقة للنموذج المقدم، ولم تكن مهامه تتوقف هنا بل كان وزير الكرستة بعد الانتهاء من هذه المهمة يذهب برفقة الخوجة –باش كاتب- إلى الغابات ليختار بنفسه الأشجار المتوجب قطعها لكونها صالحة، وكان يحددها.[2]

وبعد هذه الدورة كان يعود إلى بجاية في انتظار إخباره بأن الأخشاب، والقطع الخشبية المطلوبة جاهزة للتسليم، وهنا نشير إلى أن الأخشاب التي كانت تحتاج إليها البحرية الجزائرية كانت تجيء في البداية من غابات بني ميمون، وبني عمور القبائل الغابية الأقرب من مدينة بجاية، وبدءا من سنة 1750م أصبحت تُجلب من غابات قبائل بني فوغال[3] حيث الأخشاب أكثر صلابة، ومقاومة لعوامل التلف.[4]

---

(1) Charles Féraud, op.cit, p. 207

(2) Ibid, p.207

(3) وبما أن تأثير آل مقرآن لم يكن متواجدا في هذه المنطقة بما فيه الكفاية ؛ فإن العثمانيين عينوا أحد أفراد هذه الأسرة وهو " الحاج المكي أمقران " ليذهب ويستقر في جيجل، ومنها سيتمكن من خدمة مصالحهم المتعلقة باستغلال الكراستة في غابات قبائل بني فوغال بشكل أفضل.أنظر : Charles Féraud, op.cit, p.206

(4) Charles Féraud, op.cit, p.206

وبعد فترة كان يعود قايد الكراستة للإطلاع على العمل المنجز، وفحص القطع المصنوعة لكي تنقل إلى الشاطئ، وتتم عملية تحميلها، وقد كان لكل قطعة اسمها الخاص ؛ لكونها موجهة لاستعمال خاص في السفينة ومن تم لها شكل خاص بها، وقد كان لكل منها ثمن حسب طبيعتها، واليد العاملة التي تطلبتها، وكانت عملية تسديد ثمن هذه القطع الخشبية، والخشب الذي كان يشتري البعض منه على شكل ألواح، وأعمدة مخصصة لبناء السفن، ولبناء المنازل أيضا في مدينة الجزائر بالطريقة التالية :

عند دورة قايد الكرستة الثانية للإطلاع على العمل المطلوب، وأخذ قطع الخشب المصنوعة التي طلبها وبمساعدة الخوجة- باش كاتب-كان يضع قائمة مفصلة لهذه القطع، وأسعارها المختلفة، والمبلغ الإجمالي لها كان يجزأ إلى ثلاثة أقسام القسم الأول الذي يدفع كان يعرف "**بالعربون** " ؛ حيث كان يقدم لشيخ كراستة المنطقة الذي يوزعه بدوره بالتساوي بين أصحاب الغابات من القبائل، وقسم ثاني، وثالث كانا يدفعان بعد أن تتم عملية نقل الأخشاب، والقطع المصنعة للشاطئ من طرف القبائل، إذ بعد أن يتجمع الخشب على الشاطئ كان يقدم لشيخ الكرستة ما تبقى من الثمن المجزأ إلى "**حق الخدمة**"، وهو موجه للنجارين الذين صنعوا تلك القطع وآخر قسم وهو "**حق الرفود**" [1] أي حمل الأخشاب

---

(1) وكان أفراد القبائل المكلفين بنقل الأخشاب ينقلونها عن طريق جعلها تنحدر من المنحدرات باتجاه الشاطئ، أو كانوا يحملونها بأيديهم، أو كانوا=

من الغابة إلى الشاطئ، وشحنها في القوارب.[2] وكمثال على ذلك عند بني فوغال القسمين الأولين العربون، وحق الخدمة كانا يعودان استثنائيا لفرقة أولاد خالد مالكي الأشجار المقطوعة، والذين كانوا يقومون بأنفسهم بأعمال النجارة (charpenterie)الخاصة بتهيئة القطع المطلوبة في حين أن حق الرفود كان يقسم بين سكان فرق أخرى متجاورة مثل أولاد كزار، وأولاد قاسم، وبني مدة وبني عيسى، وغيرهم. [3]

و قد كان ينقل الخشب هذا من طرف فلوكات –مراكب صغيرة- في فصل الصيف بعد أن يلتقط على طول الساحل [4] إلى ميناء مدينة بجاية ؛ حيث كان يحمل إلى مدينة الجزائر من طرف

=يسحبونها عن طريق حبال كانت تمنح لهم من طرف بحرية الجزائر، ولابد أن نضيف إلى أنه ولتفادي صعوبات كبيرة في النقل كانت تقطع الأشجار الأكثر قربا من الشاطئ، وأنه لم يكن يتم التوغل إلى الأمام أكثر في الغابة.علما أن عملية قطع الأشجار كانت لا تتم إلا في نهاية فصل الشتاء مما يسهل العملية، ولا يتلف الخشب، ويسمح للأشجار المقطوعة بالنمو مجدد باعتبار أن اليخضور (sève) يكون حينها في راحة.أنظر :

Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1869, N°13 pp.41, 43

(2).Charles Féraud, op.cit, pp.209, 210

(3) Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1869, N°13 p.43

(4) وبالتحديد عند نقاط الشحن الثلاثة الآتية : **1-** عند مصب وادي الزيتون عند بني عمور إلى الشرق قليلا من رأس أوقاس

2 – عند الميناء الصغير لزياما بالقرب من جزيرة منصورية **3-** وأخيرا في ميناء تازة المحمي جيدا والواقع عند مصب وادي تازة عند بني فوغال.وتجدر الإشارة إلى أن قايد الكراستة كان ينتقل إلى نقاط الشحن التالية عندما كانت تستدعى الحاجة.أنظر :

Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1869, N°13 p.40

سفن ذات قدرة حمولة أكبر ليستعمل في ميدان بناء السفن، وكذلك في بناء منازل المدينة[1] -كما ذكر آنفا-.

وتوجد بعض الوثائق الأرشيفية التي تعود للعهد العثماني- وبالتحديد للرصيد العثماني المتواجد بالمكتبة الوطنية بالحامة المشكل من عدد كبير من الوثائق الموزعة في عدة مجموعات، والمتنوعة المواضيع، ويمكن العودة إلى فهرس حماش لأخذ فكرة عامة عنها- والتي تؤكد، وتبين لنا هذه المسألة ؛ أي نقل الأخشاب، والقطع الخشبية المصنعة الضرورية لتجديد، وترميم البحرية الجزائرية الأمر الذي كان كما سبق الذكر من الأنشطة الاقتصادية الهامة لمدينة بجاية، وقبائل الغابات المجاورة لها.

وهي عبارة عن مراسلات بين السلطة في مدينة الجزائر، والمسؤولين المراقبين لعملية استغلال الأخشاب بمنطقة بجاية لصالح الأسطول الجزائري ؛ فنجد رسالة وجهها أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرستة في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة –بمثابة وزير البحرية إذ كان تحت إشرافه كل ما يتعلق بشؤون البحرية، والغزو البحري والعلاقات الخارجية -لمدينة الجزائر يخبره فيها بأن عملية إرسال الخشب إلى الجزائر قد تمت كما يذكر أنه قام بمساعدة الحاج خليل وكيل الزيت في شراء الزيت الذي طلب منه من الجزائر ؛ حيث يقول : «...و نعلمكم أيضا أفاندي{كذا}

(1) Charles Féraud, op.cit, p.210

أني رفعت مع السيد الحاج خليل وكيل الزيت وقضينا{كذا}له الزيت والحمد لله...».[1]

وهذه المراسلة إلى جانب أنها تفيدنا في تأكيد ذلك النشاط الذي كانت مدينة بجاية محطة هامة فيه –تجارة الخشب- فإنها توضح لنا كيف أن مدينة بجاية كانت مصدرا هام لتزويد مدينة الجزائر باحتياجاتها من الزيت وهذا ما يؤكد ما ذكره توماس شو من وجود زراعات جميلة، وكبيرة لأشجار الزيتون في ضواحي مدينة بجاية في القرن 19م (13هـ).[2]

وفي هذا السياق توجد مراسلة أخرى من أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست –الكرستة- أوائل شوال بدون تاريخ في نفس القضية، وهي شراء الزيت الذي طلب منه شراءه، وإرسال الأخشاب ؛ حيث مما جاء فيها :

«....إلى سيدنا إبراهيم وكيل الحرج في الجهاد أيده الله وناصره أمين جعلك الله رحمة للعباد وشفاعة لأهل الفساد أمين، واليوم أفاندم {كذا}خير إن شاء الله تعالى أمر الكيل الزيت

---

(1) الوثيقة رقم 6 "**رسالة من أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة بمدينة الجزائر حول إرسال الأخشاب لمدينة الجزائر كما يخبره بمساعدته وكيل الزيت الحاج خليل في شراء كميات الزيت المطلوبة منه** "، تاريخها أوائل ذي القعدة(دون تاريخ)، في المجموعة 1903 من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

(2) Tomas SHAW, op.cit,p.195(2)

[كذا] قد كيلنا وعمرنا{كذا} جميع الأقساط كلهم الذي [كذا] أرسلت إلينا وزدنا ثانيا {كذا} من عدنا من المخزن لتعمير عشرا أقساط عمرناهم{كذا}و الحمد لله على هذا الساع{كذا} الزيت موجود....»[1]، ويحدثه كذلك في نفس المراسلة عن أمر الخشب فيقول له : «..... وخذينا {كذا} الخشوب{كذا} .....".

ودائما في هذا الموضوع نجد مراسلة أخرى ؛ حيث راسل أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة يخبره فيها بوصول خطابه إليه، كما تتضمن هذه المراسلة الإشارة لإرسال بعض البضائع من بجاية إلى الجزائر على متن السفن، كما يعلمه من خلالها بظهور سفينة مارة بالقرب من سواحل بجاية فلم يعلموا إذا كان المركب مسلم أو نصراني.[2] وهذا دليل على أهمية بجاية كمركز لمراقبة الملاحة البحرية.كما نجد مراسلة أخري أرسلها القائد مصطفى، وأحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرستة في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة

---

(1) الوثيقة رقم 8، في المجموعة 1903، من الرصيد العثماني، مصدر سابق، أنظر الهامش رقم (39)

(2) الوثيقة رقم 9 "**رسالة من أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج حول إرسال بعض البضائع إلى مدينة الجزائر بواسطة السفن "البركوات وإعلامه بمسألة مرور مركب بالقرب من بجاية لا تعرف هويته "، تاريخها أواخر محرم الحرام (دون تاريخ) في المجموعة 1903**، من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

حول تسوية بعض المسائل التجارية مع بعض القبائل، وإخباره بجمع أقساط الزيت المطلوبة من طرف الحاج خليل.[1]

وهكذا نجد أن مسألة استغلال أخشاب الغابات المحيطة بمدينة بجاية، والمتاجرة بها خلال العهد العثماني قد أعطى لبجاية نوعا من الأهمية كونها بغاباتها مصدرا أساسي للأخشاب الضرورية للبحرية الجزائرية لترميم، وبناء السفن، وكذلك بناء المنازل وغيرها من المنشآت، بالإضافة إلى تجارة الزيت التي ارتبطت بها، وتجارة السواحل الذي كانت تنطلق من ميناء بجاية عن طريق المراكب الصغيرة للمتاجرة بثروات المنطقة المتنوعة كما أسلفنا الذكر.

وما يشد الانتباه أيضا هي دقة التنظيم الذي وضع لاستغلال أخشاب تلك الغابات ؛ فهو نظام تميز بالفعالية وبين كيف أن كل من العثمانيين، والقبائل كانوا يجدون فائدتهم، ومصلحتهم – مكسبهم- من خلال هذه العملية كما نستشف السياسة الحكيمة التي اعتمدها العثمانيين في التعامل مع القبائل القاطنة في الغابات المحيطة بمدينة بجاية للاستفادة من أخشابها.

6 – <u>مصير تجارة الكراستة</u> : وفي نهاية المطاف تراجعت هذه التجارة بشدة، وزالت نتيجة عاملين :

---

(1) الوثيقة رقم29 " : **عبارة عن مراسلة من القائد مصطفي وأحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج بباب الجزيرة"**، في المجموعة 1903، من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

1- جعل استغلال الكراستة احتكارا لصالح اليهود، وكذا منحهم احتكار التجارة التي كانت تتم في بجاية مع القبائل وبالتحديد لعائلة البكري -وذلك خلال السنوات الأخيرة من تاريخ الدولة-، والتي تعهدت بدفع إتاوة مرتفعة للحاكم-الداي -، ولكن تعاملهم مع القبائل لم يكن إلا من خلال وكيل، أو ممثلين عنهم وهؤلاء إما لمصلحة خاصة، أو لعجزهم تسببوا في فوضى مؤسفة، وتعطيل كل الأعمال التجارية بمنطقة بجاية، ولاسيما تجارة الكراستة، والدليل على ذلك أن كمية كبيرة، ومعتبرة من الأخشاب التي تم طلبها لصالح البحرية بقيت قرابة الثلاث سنوات على شاطئ تازة لرفض القبائل تسليمها لأنه لم يدفع لهم كما جرت العادة من قبل، وبالسعر المتفق عليه من طرف وكيل البكري مما أضر باقتصاد قبائل المنطقة، وبالبحرية الجزائرية.[1]

2- الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر عاصمة البلاد وضع حدا نهائيا لتجارة الكراستة وتسبب في إدخال سكان قبائل منطقة بجاية في حالة من البؤس، والفقر بعد أن قضى على أهم نشاط اقتصادي كانوا يقومون به وهو تزويد البحرية الجزائرية بما تحتاج إليه من أخشاب لصناعة السفن، وبالتالي القضاء على أحد أهم الموارد المالية بالنسبة لهم، وقد استمروا على هذه الحالة لفترة طويلة.[2]

---

(1) Charles Féraud, op.cit, p.210

(2) Charles Féraud, op.cit, In Revue Africaine 1869, N°13 p.46

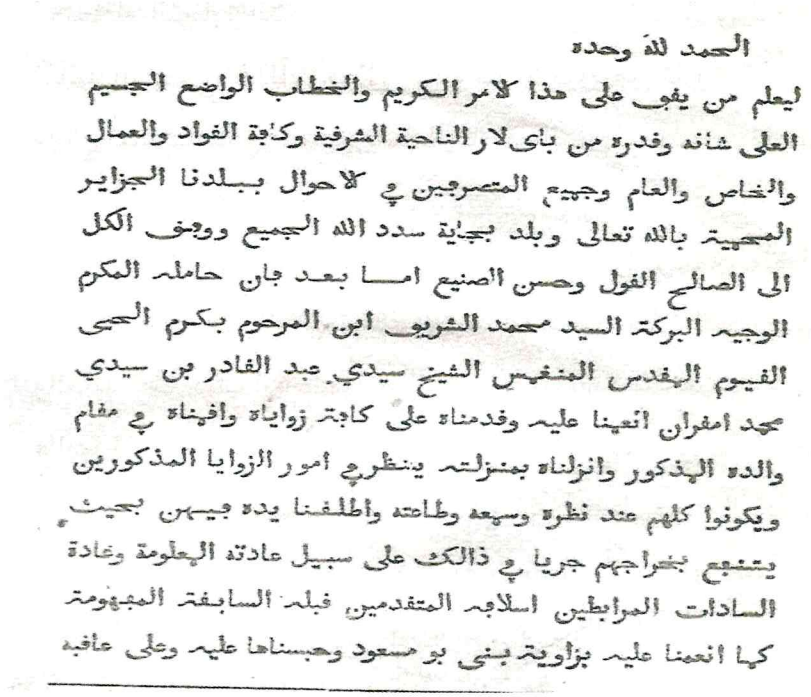

الحمد لله وحده

ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم والخطاب الواضح الجسيم العلي شانه وقدره من باي لار الناحية الشرقية وكافة القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الاحوال ببلدنا الجزاير المحمية بالله تعالى وبلد بجاية سدد الله الجميع ووفق الكل الى الصالح القول وحسن الصنيع امـــا بعـد فان حاملـه المكرم الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي القيوم القدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد امقران انعمنا عليه وفدمناه على كافة زواياه وافمناه في مقام والده المذكور وانزلناه بمنزلته ينظر في امور الزوايا المذكورين ويكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته واطلقنا يده فيهن بحيث يتتبع بخراجهم جريا في ذالك على سبيل عادته المعلومة وعادة السادات المرابطين اسلافه المتقدمين قبله السابقة المفهومة كما انعمنا عليه بزاوية بني بو مسعود وحبسناها عليه وعلى عاقبه

الوثيقة رقم 8 "**رسالة من أحمد خوجة بن فرحات مرابط الكرست في بجاية إلى إبراهيم وكيل الحرج حول مسألة شراء الزيت المطلوب منه وطلب إعلامه هل يتم إرسال مركب من مدينة الجزائر لتسلمه وفيها إشارة أيضا للأخشاب**"، تاريخها أوائل شوال (دون تاريخ)، في المجموعة 1903 في من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

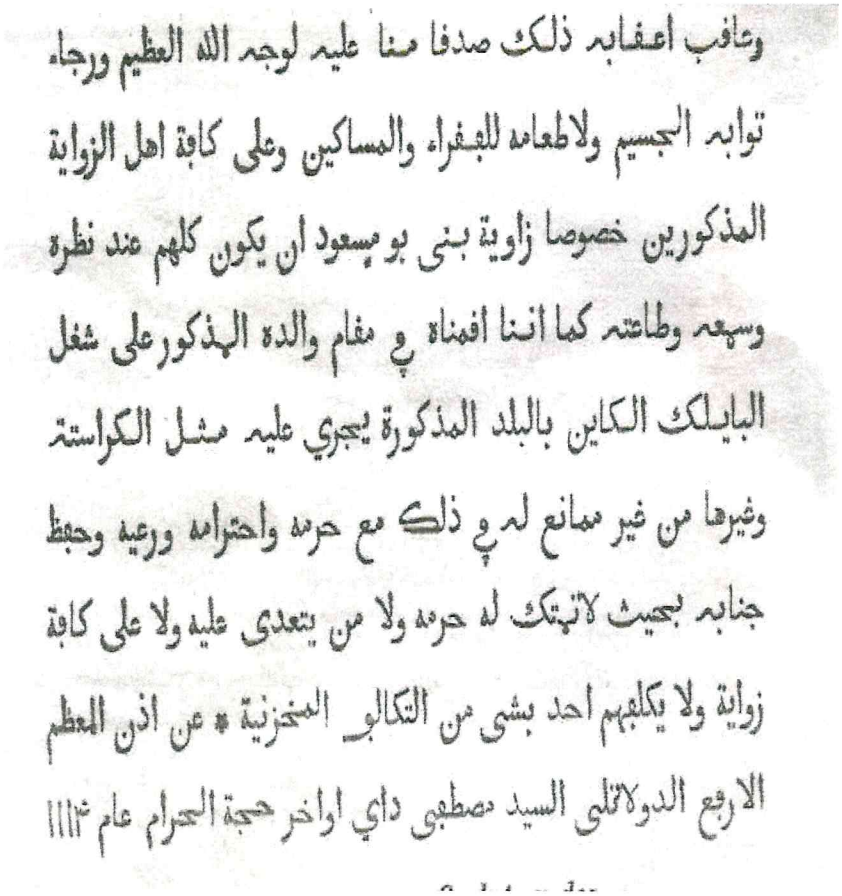
وعاقب اعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم ورجاء
ثوابه الجسيم ولاطعامه للفقراء والمساكين وعلى كافة اهل الزاوية
المذكورين خصوصا زاوية بني بو مسعود ان يكون كلهم عند نظره
وسمعه وطاعته كما اننا اقمناه في مقام والده المذكور على شغل
البايلك الكائن بالبلد المذكورة يجري عليه مثل الكراستة
وغيرها من غير ممانع له في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ
جنابه بحيث لاتهتك له حرمه ولا من يتعدى عليه ولا على كافة
زاوية ولا يكلفهم احد بشي من التكالي المخزنية * عن اذن المعظم
الاربع الدولاتلي السيد مصطفى داي اواخر حجة الحرام عام ١١١٣

وثيقة تجدد الإمتيازات التي منحت لعائلة أمقران بدء بالجد محمد أمقران ثم والده الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد أمقران وأخيرا المذكور هنا الحفيد السيد محمد الشريف نظرا للخدمات التي قدموها للسلطة وفيها إشارة إلى الكرا ستة. تاريخها 1702. المرجع :

FERAUD (Charles) ,Exploitation des Forets de la karasta dans la Kabilie orientale sous la domination turque , In Revue Africaine 1868 ,N°12.

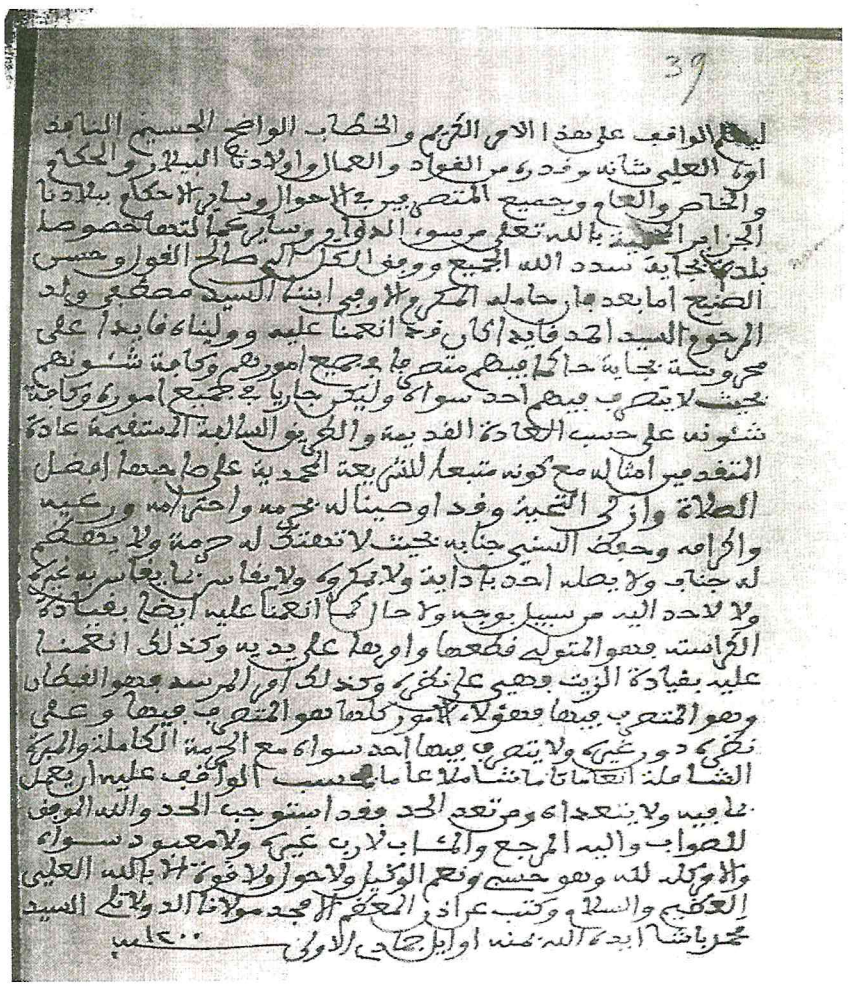

الوثيقة رقم 39 "**رسالة من محمد باشا إلى أهل بجاية يعلمهم فيها بأمر تعين مصطفي بن أحد قايد مدينة بجاية وناظرا للكراستة وللزيت وقبطانا للمرسى**"، تاريخها جمادى الأولى 1200 هـ، في المجموعة 3206، في الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر